فتوح بلاد الهند

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الـحُمَيدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

ح عبد العزيز عبد الله الحميدي ، ١٤٣٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحميدي ، عبد العزيز عبد الله
فتوح بلاد الهند . / عبدالعزيز عبد الله الحميدي- مكة المكرمة ، ١٤٣٧هـ

٨٠ ص ؛ .. سم

ردمك : ٠-١١٥٠-٠٢-٦٠٣ - ٩٧٨
١- الاسلام – تاريخ – الهند ٢ – التاريخ الاسلامي ٣ – الفتوحات الاسلامية أ.العنوان
ديوي ٩٥٣,٠٧٩ ١٤٣٧/٥١٩٤

رقم الإيداع : ١٤٣٧/٥١٩٤
ردمك: ٠ – ١١٥٠ – ٠٢ – ٦٠٣ – ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٧هـ/٢٠١٦م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا الكتاب موضوعه «فتوح بلاد الهند » .

وليس المقصود بهذا التاريخ رصد كل ما دوَّنه المؤرخون من تاريخ جهاد المسلمين وفتوحاتهم، وإنما المقصود منه ما اشتمل عليه ذلك من المواقف التي من أبرزها نشر الإسلام.

وقد بيَّنتُ في هذا الكتاب وفيما سبقه من الكتب أن المقصود من الجهاد هو نشر الإسلام في تلك البلاد عن طريق الجهاد الدعوي.

والجهاد نوعان: جهاد دفاعي وهو الذي يكون عند هجوم الأعداء على بلاد الإسلام، وهو فرض عين على كل قادر، وجهاد دعوي، وهو الجهاد في بلاد الكفار من أجل تحرير الشعوب من الحكومات الكافرة حتى يفهموا الإسلام ويدخلوا فيه، وهو فرض كفاية، وقد تبين لنا في كتاب «الخلفاء الراشدون» أن قادة المسلمين كانوا يدعون الكفار إلى الدخول في الإسلام قبل كل معركة .

ومن ذلك ماقاله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لقائد الفرس رستم : إني أدعوك إلى ماهو خير لنا ولك، العافية أن تقبل مادعاك الله إليه، ونرجع إلى أرضنا وترجع إلى أرضك، وماقاله رستم لزهرة بن الحوية لما دعاه إلى الإسلام: أرأيت إن رضيت بهذا الأمر ومعي قومي كيف يكون أمركم أترجعون؟ قال: إي والله ثم لانقرب بلادكم أبدًا إلا في تجارة أو حاجة، وسيتبين لنا مثل ذلك في هذا الكتاب.

الفتوح في بلاد الهند
في عهد العباسيين

الجهاد في الهند في عهد المهدي

لم يكن فيما بعد عهد هشام بن عبد الملك أخبار مهمة عن مواقف المسلمين الجهادية في بلاد السند، حيث اشتغل المسلمون بالخلافات والقتال فيما بينهم حتى آلت الخلافة إلى العباسيين فاشتغلوا بتوطيد حكمهم ومقاومة الفتن الداخلية طيلة عهد أبي عبد الله السفاح وأبي جعفر المنصور.

وبعد وفاة أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور بويع بالخلافة لولده المهدي محمد بن عبد الله بن محمد بن عَلِيّ بن عبد الله بن العَبَّاس رضي الله عنهما، وذلك في يوم الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة[1].

وقد ذكر الإمام أبو جعفر الطبري في حوادث سنة تسع وخمسين ومائة أن المهدي وجه عبد الملك بن شهاب المسمعي في البحر إلى بلاد الهند، وفرض معه لألفين من أهل البصرة من جميع الأجناد وأشخصهم معه، وأشخص معه من المطَّوعة الذين كانوا يلزمون

(١) تاريخ الطبري ٨/ ١٠٨.

المرابطات ألفًا وخمسمائة رجل، ووجه معه قائدًا من أبناء أهل الشام يقال له ابن الحباب المذحجي في سبعمائة من أهل الشام، وخرج معه من مطَّوعة أهل البصرة بأموالهم ألف رجل، فيهم – فيما ذكر – الربيع ابن صبيح، ومن الأسواريين والسبابجة[1] أربعة آلاف رجل، فولَّى عبد الملك بن شهاب المنذرَ بن محمد الجاوردي على الألف رجل الذين من فرض البصرة، وولي عبد الواحد بن عبد الملك الألف والخمسمائة الرجل من مطَّوعة المرابطات، وأفرد يزيد بن الحباب في أصحابه فخرجوا، وكان المهدي وجه لتجهيزهم حتى شخصوا أبا القاسم محرز بن إبراهيم، فمضوا لوجههم حتى أتوا مدينة باربند[2] من بلاد الهند في سنة ستين ومائة [3].

وذكر المؤرخ ابن الأثير أنهم نازلوا أهل تلك المدينة وحاصروها من نواحيها، وحَرَّض النَّاس بعضهم بعضا على الجهاد وضايقوا

(١) ذكر الطرازي أنهم من السند – موسوعة التاريخ الإسلامي ١/ ٢٦٤.

(٢) ذكر الطرازي أن أصلها بهاربوت وهي ميناء صغير يقع على بعد سبعة أميال من ميناء بهروج (بروص) – المرجع السابق ١/ ٢٦٤.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ١١٦ – ١١٧.

أهلها ففتحها الله عليهم عنوة، وأن أهلها احتموا بالبدِّ وهو الصنم الذي لهم فأحرقه المسلمون عليهم فاحترق بعضهم وقُتل الباقون، واستشهد من المسلمين بضعة وعشرون رجلاً[1].

(١) الكامل في التاريخ ٥/ ٥٥.

جهاد محمود بن سبكتكين في بلاد الهند

قبل الحديث عن جهاد هذا البطل الكبير والقائد البصير فإنه يحسن بنا تقديم نبذة موجزة عن حياته وعن دولته الفتية القوية التي استولى بها على معظم أقطار الهند وقضى بها على معظم ملوكهم.

فهو السلطان أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة سبكتكين، لقَّبه أمير المؤمنين القادر بالله بعدما جعله سلطانا بعد موت أبيه «يمين الدولة وأمين الملة» فاشتهر بذلك، وقد كانت إمارته ما بين عامي (٣٨٩و ٤٢١هـ) .

تولى أبوه إمارة «غزنة»[١] من قِبَل السامانيين[٢] بعدما مات حاكمها أبو إسحاق إبراهيم بن آلب تكين، وكان سبكتكين أبرز رجاله، فاجتمعت كلمة مُقَدَّمي تلك الإمارة على تأمير سبكتكين لشهامته وشجاعته.

---

(١) هي مدينة أفغانية تقع جنوب غربي كابول على مسافة ١٧٠كم- معجم المصطلحات التاريخية / ٨٦ لعبد العزيز آل سعد .

(٢) دولة الساماتيين نشأت في بلاد ماوراء النهر وأفغانستان وإيران- مؤسسو الدول الإسلامية (ص ٥٠٥) .

وقد آل الأمر إلى ابنه محمود بعد موته بعد نزاع كان مع أخيه إسماعيل، وقد قام محمود بتوسيع نطاق دولته حيث استولى على خراسان[1] وانتزعها من يد السامانيين سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، فقويت بذلك دولته، وأصبح أمراء خراسان من أركان دولته وجيشه وشاركوه في فتوحاته.

ثم إن بلاد سجستان[2] دخلت في طاعته سنة ثلاث وتسعين بدون قتال، وذلك بدخول قوادها وولاة أمرها تحت سلطانه.

وقد فرض على نفسه غزو بلاد الهند كل عام.

ذكر ذلك ابن خلكان ثم قال: ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الإسلام راية،ولم تُتْلَ به قط سورة ولا آية.

وقد توفي رحمه الله سنة إحدى أو اثنتين وعشرين وأربعمائة[3].

---

(١) هي تشمل الآن شمال شرق إيران وشمال غرب أفغانستان وأجزاء من تركمانستان – معجم المصطلحات التاريخية (١١٨-١١٩).

(٢) تقع في الوقت الحاضر بين إيران وأفغانستان- معجم المصطلحات التاريخية (١٥١-١٥٢).

(٣) وفيات الأعيان ٥/ ١٧٥ – ١٨١.

وذكر الحافظ ابن كثير أنه سار في رعاياه سيرة عادلة وقام في نصر الإسلام قياما تاما، قال: وفتح في بلاد الكفار من الهند فتوحات هائلة، لم يتَّفق لغيره من الملوك، لاقبله ولابعده، وكسر من أصنامهم شيئًا كثيرًا [1].

جهاده مع جيبال ملك الهند:

يقول المؤرخ العلامة أبو الحسن على بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير: في هذه السنة [يعني سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة] أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة، وسبب ذلك أنه لما اشتغل بأمر خراسان وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد، وخلا وجهه من ذلك أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين، فثَنَى عنانه نحو تلك البلاد فنزل على مدينة برشور، فأتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة، فاختار يمين الدولة من عساكره والمُطَّوعة خمسة عشر ألفا، وسار نحوه فالتقوا في المحرم من هذه السنة، فاقتتلوا وصبر الفريقان، فلما انتصف النهار انهزم الهنود وقُتِل فيهم مقتلة عظيمة، وأُسر جيبال

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٣٢.

ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته، وغنم المسلمون منهم أموالا جليلة وجواهر نفيسة، وأُخذ من عنق عدو الله جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير، قوِّمت بمائتي ألف دينار، وأُصيب أمثالها في أعناق مقدَّمي الأسرى [1].

وإن ما شعر به محمود بن سبكتكين من ارتكاب الذنب في قتال حكام الدويلات المجاورة من المسلمين يدل على اتصافه بشيء من الورع والخشية، ولعل الله تعالى أن يكفر عنه عمله هذا بجهاده الطويل ضد الكفار وتحطيم الآلاف من الأصنام ودخول الآلاف من الكفار في الإسلام على يديه.

وماجاء في هذا الخبر من وصف ذلك الحاكم الهندي وحاشيته من التحلي بالجواهر النفيسة الغالية يدل على ماكانوا يعيشون فيه من حياة الترف والبذخ الذي يقوم غالبًا على ظلم المستضعفين، فماأغنى عنهم ذلك شيئًا ولاكثرة جنودهم وعتادهم لما حلَّتْ بهم نقمة الله تعالى على يد جنوده المجاهدين.

---

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٢١٣.

جهاده مع بيدبا صاحب كواكير:

ذكر ابن الأثير أن السلطان محمود بعد أن غزا الملتان[1] سار عنها إلى قلعة كواكير، وكان صاحبها يعرف بِبَيْدَا، وكان بها ستمائة صنم، فافتتحها وأحرق الأصنام، فهرب صاحبها إلى قلعته المعروفة لكالنجار، فسار خلفه إليها، وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان، وفيه خمسمائة فيل وعشرون ألف دابة، وفي الحصن مايكفي الجميع مدة، فلما قاربها يمين الدولة وبقي بينهما سبعة فراسخ[2] رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق مالا حدَّ له، فأمر بقطعها، ورأى في الطريق واديا عظيم العمق بعيد القعر، فأمر أن يطم منه مقدار يسع عشرين فارسا فطموه بالجلود المملوءة ترابا، ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثة وأربعين يوما، وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه، ثم بلغه عن خراسان اختلاف فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف مَنٍّ من الفضة[3].

---

(١) تقع الآن في باكستان جنوب إسلام أباد (٥٠٤كم) معجم المصطلحات التاريخية (ص٢١٥).

(٢) الفرسخ يساوي ستة كيلومترات ، يعني ٤٢ كم .

(٣) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٢٨.

وهذا الخبر فيه مثل من الصعاب والمشاقِّ التي كان يواجهها يمين الدولة محمود بن سبكتكين في جهاده في بلاد الهند واجتهاده في هدم معالم الشرك التي أهمها الأصنام.

جهاده في بلاد الغور:

وذكر ابن الأثير أيضًا غزو يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الغور فقال: بلاد الغور تجاور غزنة، وكان الغور يقطعون الطريق ويخيفون السبيل وبلادهم جبال وعرة ومضايق غَلِقَة، وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسلكها، فلما كثر ذلك منهم أَنِفَ يمين الدولة محمود بن سبكتكين أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه وهم على هذه الحال من الفساد والكفر، فجمع العساكر وسار إليهم وعلى مقدمته التونتاش الحاجب صاحب هراة، وأرسلان الجاذب صاحب طوس، وهما أكبر أمرائه، فسارا فيمن معهما حتى انتهوا إلى مضيق قد شُحن بالمقاتلة، فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان، فسمع يمين الدولة الحال فجدَّ في السير إليهم، وملك عليهم مسالكهم فتفرقوا وساروا إلى عظيم الغورية المعروف بابن سوري، فانتهوا إلى مدينته التي تُدْعَى آهنكران فبرز من المدينة في عشرة آلاف مقاتل،

فقاتلهم المسلمون إلى أن انتصف النهار، فرأوا أشجع الناس وأقواهم على القتال، فأمر يمين الدولة أن يولوهم الأدبار على سبيل الاستدراج ففعلوا، فلما رأى الغورية ذلك ظنوه هزيمة فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم، فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا السيوف فيهم فأبادوهم قتلا وأسرا، وكان في الأسرى كبيرهم وزعيمهم ابن سوري، ودخل المسلمون المدينة وملكوها وغنموا مافيها، وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعها، فلما عاين ابن سوري مافعل المسلمون بهم شرب سمًّا كان معه فمات، وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، وأظهر يمين الدولة في تلك الأعمال شعار الإسلام وجعل عندهم من يعلمهم شرائعه، وعاد[1].

وهكذا كان يمين الدولة محمود بن سبكتكين مغامرا جسورًا حينما سار بجيشه إلى أولئك القوم الأشداء الذين قد امتنعوا بجبالهم الوعرة وحصونهم المنيعة، ولقد وُفق بقادة وجنود طائعين فدائيين حيث قاموا بتلك المهمة الصعبة.

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٥٣.

كما أنه وُفق في خطته الحربية التي أظهر فيها التراجع خدعة لأعدائه ثم كر عليهم بعدما أبعدوا عن حصونهم ففاجأهم بماأذهلهم وحط من قواهم فتفرقوا وانهزموا.

وإن من مواقفه العالية اهتمامه بدعوة أولئك القوم إلى الإسلام، وتكليف من يعلمونهم شرائعه.

جهاده في وسط الهند:

من مواقف السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الجهادية ماذكره ابن الأثير في حوادث سنة أربع وأربعمائة قال: في هذه السنة سار يمين الدولة إلى الهند في جمع عظيم وحشد كثير، وقصَدُوا سِطَةَ البلاد من الهند فسار شهرين حتى قارب مقصده ورتب أصحابه وعساكره، فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده وأصحابه، وبرز إلى جبل هناك صعب المرتقى ضيق المسلك فاحتمى به وطاول المسلمين، وكتب إلى الهنود يستدعيهم من كل ناحية، فاجتمع عليه منهم كل من يحمل سلاحا، فلما تكاملت عدته نزل من الجبل، وتصافَّ هو والمسلمون واشتد القتال وعظم الأمر، ثم إن الله تعالى

منح المسلمين أكتافهم فهزموهم وأكثروا القتل فيهم، وغنموا مامعهم من مال وفِيَلة وسلاح وغير ذلك.

وُوُجد في بيت بُدٍّ عظيم [1] حجر منقور، دلَّت كتابته على أنه مبني منذ أربعين ألف سنة، فعجب الناس لقلة عقولهم [2].

وهكذا انتصر المسلمون على ذلك الحاكم الهندي على الرغم من كونه قد أحكم أمره حينما لجأ إلى ذلك الجبل، ثم جمع جنده واستنجد بكل من حوله حتى كوَّن جيشا عظيما، ولكنهم لم يثبتوا أمام عزم المسلمين القوي وصبرهم الشديد.

جهاده في بلاد تانيشر:

ثم ذكر ابن الأثير في حوادث سنة خمس وأربعمائة أنه قد ذُكر ليمين الدولة أن بناحية تانيشر فيلةً من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب، وأن صاحبها غَالٍ في الكفر والطغيان والعناد للمسلمين، فعزم على غزوه في عقر داره، وأن يذيقه شربة من كأس قتاله، فسار في

(١) البد بِضَمِّ الباء وتشديد الدال المَضْمُومة هو الصنم.

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٧٠ – ٢٧١.

الجنود والعساكر والمتطوعة فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك وقفارًا فسيحة الأقطار والأطراف، بعيدة الأكناف، والماء بها قليل، فلقوا بها شدة وقاسوا مشقة، إلى أن قطعوها، فلما قاربوا مقصدهم لقوا نهرًا شديد الجَرْية صعب المخاضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره، ومعه عساكره وفيلته التي كان يُدِلُّ بها، فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر وإشغال الكفار بالقتال ليتمكن باقي العسكر من العبور، ففعلوا ذلك وقاتلوا الهنود، وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات وقتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار، فانهزم الهنود وظفر المسلمون وغنموا مامعهم من أموال وفيلة، وعادوا إلى غزنة موفرين ظافرين [1].

وهذا الخبر يشتمل على خطة حربية ناجحة خطط لها يمين الدولة ونجح في تنفيذها، حيث أشغل الجيش الهندي بطائفة من جيشه ليتمكن بقية الجيش الإسلامي من عبور النهر، فعبروا وطوقوا

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٧٢.

الكفار من كل الجهات، ولقد كان أولئك الجنود المنتخبون لإشغال الكفار في غاية الشجاعة والتضحية حيث فَدَوا بقية الجيش الإسلامي بأنفسهم، وتلقوا الضربات الأولى التي تكون هي أشد القتال وأعنفه.

جهاده في بلاد قشمير وماحولها[1] :

وذكر ابن الأثير أيضًا في حوادث سنة سبع وأربعمائة أن يمين الدولة غزا بلاد الهند، عازما على غزو قشمير، إذ كان قد استولى على بلاد الهند مابينه وبين قشمير، وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل، مما وراء النهر[2] وغيره من البلاد، وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيرًا دائما، وعبر سيحون وجيلوم، وهما نهران عميقان شديدا الجرية، فوطئ أرض الهند وأتاه رسل ملوكها بالطاعة وبذل الإتاوة، فلما بلغ درب قشمير أتاه صاحبها وأسلم على يده وسار بين يديه إلى مقصده، فبلغ ماء جون في العشرين من رجب، وفتح ماحولها من

---

(١) هي المنطقة الواقعة الآن شمال مقاطعة البنجاب في دولتي الهند وباكستان- تعريف مدن الهند ص ١٤٥ لسيد رضوان علي- .

(٢) هو نهر جيجون ويسمى الآن أموداريا طوله ٢٤١٤- المعجم الجغرافي لدول العالم ص ٥٤٣- .

الولايات الفسيحة والحصون المنيعة، حتى بلغ حصن هَوْدَب وهو آخر ملوك الهند، فنظر هودب من أعلى حصنه فرأى من العساكر ماهاله وأرعبه، وعلم أنه لاينجيه إلا الإسلام، فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الإخلاص طلبا للخلاص، فقبله يمين الدولة وسار عنه إلى كَلْجَنْد،وهو من أعيان الهند وشياطينهم، وكان على طريقه غياض ملتفة لايقدر السالك على قطعها إلا بمشقة، فسيَّر كلجند عساكره وفيوله إلى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها، فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقا مختصرة إلى الحصن من خلفهم فلم يشعروا به إلا وهو معهم، فقاتلهم قتالا شديدًا فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا، وأخذهم السيف من خلفهم، ولقوا نهر عميقا بين أيديهم فاقتحموه فغرق أكثرهم، وكان القتلى والغرقى قريبا من خمسين ألفا.

وعمد كلجند إلى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه.

ثم سار [يعني يمين الدولة] نحو بيت متعبَّد لهم وهو من مهرة

الهند، وهو من أحصن الأبنية، على نهر، ولهم به من الأصنام كثير، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر، وكان فيها من الذهب ثلاثمائة وتسعون ألفا وستمائة ألف مثقال، وكان بها من الأصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم، فأخذ يمين الدولة ذلك جميعه وأحرق الباقي.

وسار نحو قنوج[1] وصاحبها راجيبال، فوصل إليها في شعبان، فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كَنَكْ [يعني نهر كنك] ، وهو ماء شريف عندهم، يرون أنه من الجنة وأن من غرَّق نفسه فيه طهر من الآثام، فأخذها يمين الدولة وأخذ قلاعها وأعمالها، وهي سَبْع على الماء المذكور، وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم، يذكرون أنها عُملت من مائتي ألف سنة إلى ثلاثمائة ألف كذبا منهم وزورا، ولما فتحها أباحها عسكره[2].

وإننا نلاحظ من هذا العرض وماسبقه كثرة الأصنام في الهند إلى

---

(١) هي مدينة هندية تقع جنوب دلهي – معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر (ص ٤١).

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٢٨٢ – ٢٨٣.

حد كبير، كما نلاحظ إغراقا من زعمائها وحاشيتهم في الترف والزينة، فكان لهم بالمرصاد بطل الإسلام يمين الدولة محمود بن سبكتكين الذي قضى على ماجمعوه من زخارف الدنيا وسلب منهم ذلك وتقوى به على الجهاد في سبيل الله تعالى، وأزال في مدة قصيرة مابناه مضللوهم من الأصنام على مدى آلاف السنين.

وهكذا يتبوأ المسلمون أعمال الإصلاح والتطهير عن طريق الجهاد الإسلامي العظيم.

جهاده في مملكة كجورامة :

ومن مواقف السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين الجهادية ماذكره المؤرخ ابن الأثير في حوادث سنة تسع وأربعمائة. قال: في هذه السنة سار يمين الدولة إلى الهند غازيا، واحتشد وجمع واستعد وأعد أكثر مما تقدم.

وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وهرب صاحبها «رآي قنوج» منها أرسل بيدا اللعين - وهو أعظم ملوك الهند مملكة وأكثر جيشا وتُسمى مملكته كجورامة - أرسل رسلا إلى رآي قنوج- واسمه راجيبال - يوبخه على انهزامه وإسلام بلاده للمسلمين، وطال الكلام

بينهما، وآل أمرهما إلى الاختلاف، وتأهب كل واحد منهما لصاحبه وسار إليه، فالتقوا واقتتلوا، فقتل راجيبال وأتى القتل على أكثر جنوده، فازداد بيدا بما اتفق له شرًّا وعتوا وبُعْدَ صيتٍ في الهند وعلوًّا، وقصده بعض ملوك الهند الذي ملك يمين الدولة بلاده وهزمه وأباد أجناده وصار في جملته وخدمه، والتجأ إليه فوعده بإعادة ملكه وحفظ ضالته عليه، واعتذر بهجوم الشتاء وتتابع الأنداء [1].

فنمت هذه الأخبار إلى يمين الدولة فأزعجته وتجهز للغزو وقصد بيدا وأَخْذَ ملكه منه، وسار من غزنة وابتدأ في طريقه بالأفغانية وهم كفار يسكنون الجبال ويفسدون في الأرض ويقطعون الطريق بين غزنة وبينه[2] - فقصد بلادهم وسلك مضايقها وفتح مغالقها وخرب عامرها، وغنم أموالهم وأكثر القتل فيهم والأسر، وغنم المسلمون من أموالهم الكثير.

ثم استقل على المسير، وبلغ إلى مكان لم يبلغه فيما تقدم من

(١) لعله أراد الأمطار.

(٢) بينه بلدة بين هراة وبغتور في أفغانستان – معجم أماكن الفتوح (ص١٥) .

غزواته، وعبر نهر كَنَك، ولم يعبره قبلها، وجدَّ به السير فأتاه في الطريق خبر ملك من ملوك الهند يقال له «بروجيبال» قد سار من بين يديه مُلتجِأً إلى بيدا ليحتمي به عليه، فطوى المراحل فلحق ببروجيبال ومن معه رابع عشر شعبان، وبينه وبين الهنود نهر عميق، فعبر إليهم بعض أصحابه وشغلهم بالقتال، ثم عبر هو وباقي العسكر إليهم، فاقتتلوا عامة نهارهم، وانهزم بروجيبال ومن معه، وكثر فيهم القتل والأسر، وأسلموا أموالهم وأهليهم فغنمها المسلمون، وأخذوا منهم الكثير من الجواهر، وأخذوا مايزيد على مائتي فيل، وسار المسلمون يقتصون آثارهم، وانهزم ملكهم جريحا وتحير في أمره، وأرسل إلى يمين الدولة يطلب الأمان فلم يؤمِّنه، ولم يقنع منه إلا بالإسلام، وقُتِل من عساكره مالا يُحصَى، وسار بروجيبال ليلحق ببيدا، فانفرد به بعض الهنود فقتله.

فلما رأى ملوك الهند ذلك تابعوا رسلهم إلى يمين الدولة يبذلون له الطاعة والإتاوة.

وسار يمين الدولة بعد الوقعة إلى مدينة باري، وهي من أحصن

القلاع والبلاد وأقواها، فرآها من سكانها خالية، وعلى عروشها خاوية، فأمر بهدمها وتخريبها وعشر قلاع معها متناهية الحصانة، وقتل من أهلها خلقا كثيرا.

وسار يطلب بيدا الملك فلحقه وقد نزل إلى جانب نهر وأجرى الماء من بين يديه فصار وحلا، وترك عن يمينه وشماله طريقا يبسا يقاتل منه إذا أراد القتال وكان عدة من معه ستةً وخمسين ألف فارس وأربعة وثمانين ألف راجل، وستةً وأربعين وسبعَمائة فيل، فأرسل يمين الدولة طائفة من عسكره للقتال، فأخرج إليهم بيدا مثلهم، ولم يزل كل عسكر يمد أصحابه حتى كثر الجمعان واشتد الضرب والطعان، فأدركهم الليل وحجز بينهم.

فلما كان الغد بكَّر يمين الدولة إليهم فرأى الديار منهم بلاقع [أي خالية من السكان]، وركب كل فرقة منهم طريقا مخالفا لطريق الأخرى، وخزائن الأموال والسلاح بحالها، فغنموا الجميع، واقتفوا آثار المنهزمين، فلحقوهم في الغياض والآجام[1] وأكثروا فيهم القتل

(١) الآجام الشجر الكثير الملتف- معجم المصطلحات التاريخية (ص٣٧) .

والأسر، ونجا بيدا فريدا وحيدا، وعاد يمين الدولة إلى غزنة منصورا[1].

وهذا الخبر يبين لنا دقة رصد المسلمين الحربي، حيث عرف يمين الدولة عن تحركات ملوك الهند نحو التحالف مع الملك بيدا على الرغم من بُعْد المسافة، كما يدل على ضعف ملوك الهند في ذلك، حيث لم يعلم الملك بروجيبال عن تحرك المسلمين إلا بعد أن قابلوه أو قربوا منه، كما أن في هذا الخبر مثلاً من شجاعة أبطال المسلمين حيث عبَر النهر إلى جيش الهند بعضُ أصحاب يمين الدولة، فشغلوهم بالقتال حتى عبر بقية جيش المسلمين، كما أن في هذا الخبر أمثلةً واضحة من سلاح الرعب الذي نصر الله تعالى به المسلمين، وأبرز ذلك هروب ملك الهند بيدا الذي جمع من السلاح والجنود مالم يجمعه الملوك قبله، فلما رأى ضراوة قتال المسلمين أصيب بالرعب وأيقن بالهزيمة، فاغتنم فرصة ظلام الليل ليهرب هو وجيشه في كل ناحية.

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٣٠١- ٣٠٢.

جهاده في بلاد أخرى:

من أخبار هذا المجاهد الكبير يمين الدولة محمود بن سبكتكين ماذكره الحافظ ابن كثير في حوادث سنة عشر وأربعمائة أنه غزا مدينة في الهند فيها ألف قصر مَشِيْد وألف بيت للأصنام، وفيها من الأصنام شيء كثير، ومَبْلغ ماعلى الصنم من الذهب مايقارب مائة ألف دينار، ومبلغ الأصنام من الفضة زيادة على ألف صنم، وعندهم صنم معظم يؤرخون له وبه - بجهالتهم - ثلاثمائة ألف عام، وقد سَلَب ذلك كلَّه محمود بن سبكتكين وذكر أن عدد القتلى من الهنود خسمون ألفا، وأسلم منهم عشرون ألفا [1].

وذكر العالم المؤرخ ابن الأثير أن ابن سبكتكين غزا الهند في سنة أربع عشرة وأربعمائة، فأوغل فيها فغنم وقتل، حتى وصل إلى قلعة على رأس جبل منيع، ليس له مصعد إلا من موضع واحد، وهي كبيرة تسع خلقا، وبها خمسمائة فيل، وفي رأس الجبل مـــن الغلاَّت والمياه وجميع مايحتاج الناس إليه، فحصرهم وأدام الحصار وضيق

(١) البداية والنهاية ١٢/ ٨-٩.

عليهم واستمر القتال، فقُتل منهم كثير، فلما رأوا ما حلَّ بهم أذعنوا له وطلبوا الأمان،فأمَّنهم وأقر مُلكهم فيها على خراج يأخذه منهم[1].

جهاده في سُومَنَات عام ٤١٦هـ:

من أبرز مواقف السلطان محمود الجهادية قضاؤه على أعظم أصنام الهند «سومنات»، وفي خبر ذلك يقول المؤرخ ابن الأثير في حوادث سنة ست عشرة وأربعمائة: في هذه السنة فتح يمين الدولة في بلاد الهند عدة حصون ومدن، وأخذ الصنم المعروف بسومنات، وهذا الصنم كان أعظم أصنام الهند، وهم يحجُّون إليه في كل ليلة خسوف فيجتمع عنده ماينيف على مائة ألف إنسان، وتزعم الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه على مذهب التناسخ، فينشئها فيمن شاء، وأن المدَّ والجزر الذي عنده إنما هو عبادة البحر على قدر استطاعته، وكانوا يحملون إليه كل عِلْق نفيس، ويعطون سدنته كل مال جزيل، وله من الموقوف مايزيد على عشرة آلاف قرية، وقد اجتمع في البيت الذي هو فيه من نفيس الجوهر مالايحصى قيمته.

(١) الكامل في التاريخ ٧/ ٣١٥، والخراج ما يؤخذ من ثمار الزراعة .

ولأهل الهند نهر كبير يسمى كَنَكْ يعظمونه غاية التعظيم، ويُلقون فيه عظام من يموت من كبرائهم، ويعتقدون أنها تساق إلى جنة النعيم، وبين هذا النهر وبين سومنات نحو مائتي فرسخ[1]، وكان يُحمل من مَائِه كل يوم إلى سومنات مايغسل به.

ويكون عنده من البرهميين[2] كل يوم ألف رجل لعبادته وتقديم الوفود إليه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس زواره ولحاهم، وثلاثمائة رجل وخمسمائة أَمَة يغنون ويرقصون على باب الصنم، ولكل واحد من هؤلاء شيء معلوم كل يوم.

وكان يمين الدولة كلما فتح من الهند فتحا وكسر صنما يقول الهنود: إن هذه الأصنام قد سخط عليها سومنات، ولو أنه راض عليها لأهلك من قصدها بسوء، فلما بلغ يمين الدولة عزم على غزوه وإهلاكه ظنا منه أن الهنود إذا فقدوه ورأوا كذب ادعائهم الباطل دخلوا في الإسلام، فاستخار الله تعالى وسار من غزنة عاشر شعبان

---

(١) الفرسخ يساوي ستة كيلو مترات ، فتكون المسافة ٦٠٠كم .

(٢) البرهميون طائفة هندوسية ، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند- الموسوعة الميسرة (٢/ ٧٣٤) .

من هذه السنة في ثلاثين ألف فارس من عساكره سوى المتطوعة، وسلك سبيل الملتان فوصلها منتصف شهر رمضان.

وفي طريقه إلى الهند بَرِّية قفر لا ساكن فيها ولاماء ولاميرة، فتجهَّز هو وعسكره على قدرها، ثم زاد بعد الحاجة عشرين ألف جمل تحمل الماء والميرة وقصد «أنهلوارة»، فلما قطع المفازة رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال، وعندها آبار قد غوروها ليتعذر عليه حصرها، فيسَّر الله تعالى فتحها عند قربه منها بالرعب الذي قذفه في قلوبهم، وتسلَّمها وقتل سكانها وأهلك أوثانها، وامتاروا منها الماء ومايحتاجون إليه.

وسار إلى أنهلوارة فوصلها مستهل ذي القعدة، فرأى صاحِبها المدعوَّ «بهيم» قد أجفل عنها وتركها وأمعن في الهرب، وقصد حصنا له يحتمي به، فاستولى يمين الدولة على المدينة.

وسار إلى «سومنات» فلقي في طريقه عدة حصون فيها كثير من الأوثان شبه الحُجَّاب والنقباء لسومنات، على ماسوَّل لهم الشيطان، فقاتل من بها وفتحها وخرَّبها وكسر أصنامها، وسار إلى سومنات في

مفازة قفرة قليلة الماء، فلقي فيها عشرين ألف مقاتل من سكانها لم يدينوا للملك، فأرسل إليهم السرايا فقاتلوهم فهزموهم وغنموا أموالهم، وامتاروا من عندهم وساروا حتى بلغوا «دبولواره»وهي على مرحلتين من سومنات[1]، وقد ثبت أهلها ظنًّا منهم أن سومنات يمنعهم ويدفع عنهم، فاستولى عليها وقتل رجالها وغنم أموالها.

وسار عنها إلى سومنات فوصلها يوم الخميس منتصف ذي القعدة، فرأى حصنا حصينا مبنيًّا على ساحل البحر، بحيث تبلغه أمواجه، وأهله على الأسوار يتفرجون على المسلمين واثقين أن معبودهم يقطع دابرهم ويهلكهم.

فلما كان الغد – وهو الجمعة – زحف وقاتل من به، فرأى الهنودُ من المسلمين قتالا لم يعهدوا مثله، ففارقوا السور فنصب المسلمون عليه السلاليم، وصعدوا إليه، وأعلنوا بكلمة الإخلاص، وأظهروا شعار الإسلام، فحينئذ اشتد القتال وعظم الخطب، وتقدم جماعة

(١) المرحلة تساوي ٤٤ كم فالمرحلتان ٨٨كم- معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية (ص٤٨٤).

الهنود إلى سومنات فعفَّروا له خدودهم وسألوه النصر، وأدركهم الليل فكف بعضهم عن بعض.

فلما كان الغد بكَّر المسلمون إليهم وقاتلوهم، فأكثروا في الهنود القتل وأجلوهم عن المدينة إلى بيت صنمهم سومنات، فقاتلوا على بابه أشد قتال، وكان الفريق منهم بعد الفريق يدخل إلى سومنات فيعتنقونه ويبكون ويتضرعون إليه، ويخرجون فيقاتلون إلى أن يُقتلوا، حتى كاد الفناء يستوعبهم فبقي منهم القليل فدخلوا البحر إلى مركبين لهم لينجوا فيهما، فأدركهم المسلمون فقتلوا بعضا وغرق بعض.

وأما البيت الذي فيه سومنات فهو مبني على ست وخمسين سارية من الساج المصفح بالرصاص، وسومنات من حجر، طوله خمسة أذرع، ثلاثة مدورة ظاهرة وذراعان في البناء، وليس بصورة مصورة، فأخذه يمين الدولة فكسره وأحرق بعضه وأخذ بعضه معه إلى غزنة فجعله عتبة الجامع.

وكان بيت الصنم مظلمًا وإنما الضوء الذي عنده من قناديل

الجوهر الفائق،وكان عنده سلسلة ذهب فيها جرس وزنها مائتا مَنّ[1]، كلما مضى طائفة معلومة من الليل حُرّكت السلسلة فيصَوِّت الجرس فيقوم طائفة من البرهميين إلى عبادتهم، وعنده خزانة فيها عدة من الأصنام الذهبية والفضية، وعليها الستور المعلَّقة المرصعة بالجوهر كل واحد منها منسوب إلى عظيم من عظمائهم.

وقيمة مافي البيوت يزيد على عشرين ألف ألف دينار فأخذ الجميع، وكانت عِدَّة القتلى تزيد على خمسين ألف قتيل[2].

وبعد ففي هذا الخبر مواقف وعبر منها:

أولا: إقدام محمود بن سبكتكين على قطع تلك المسافات البعيدة المشتملة على الصحاري المهلكة التي لا ماء فيها ولاطعام، ولقد كان يعلم خطورة قطع تلك الصحاري فاستعد لها الاستعداد الكافي، وإذا عرفنا أن استعداده الاحتياطي عشرون ألف جمل يَحْمِل الماء والطعام فإننا نعرف ضخامة العتاد الذي أعده يمين الدولة لتلك الرحلة الجهادية الشاقة.

---

(١) المنُّ يزن رطلين، وذلك يعادل نحو ٨١٥ جرام – النشاط التجاري في اليمن/ لعلي بن علي (ص٤٩٢).

(٢) الكامل في التاريخ ٧/ ٣٢٠ – ٣٢١.

ثانيًا: حرص يمين الدولة على نشر الإسلام، فقد كان سفره ذلك وتحمُّله تلك المشاقَّ العظيمة للقضاء على ذلك الصنم الكبير، من أجل أن يدرك الهنود أنه ليس هناك آلهةٌ مع الله تعالى ينصرون عابديهم أو ينفعونهم، فيدفعهم ذلك إلى الإسلام.

ثالثًا: نَصْر الله تعالى أولئك المجاهدين بسلاح الرعب واضح في عدة مواطن، وهذا دليل على صلاح ذلك الجيش وصدق نية أفراده.

رابعًا: في تلك المعركة الفاصلة حَوْل أكبر أصنام الهند اجتمع عِبَاد الله تعالى الذين يعبدونه ويستلهمون منه النصر والتأييد مع عباد ذلك الصنم الذين يعبدونه ويطلبون منه النصر والتأييد، وكان في يقينهم أن من احتمى بذلك الصنم لايُغلَب، بل كانوا يظنون أنهم ليسوا بحاجة إلى أن يدخلوا مع العدو المهاجم في معارك، لاعتقادهم بأن تلك الساحاتِ ستكون مقبرة للغزاة بمجرد غضبةٍ من ذلك الصنم، ولذلك وقفوا على الأسوار يتفرجون على المسلمين انتظارا منهم لتلك اللحظة التي يتحوَّلون فيها إلى حطام مبدَّد وركام ملبَّد.

فإذا بهم يرون من المسلمين قتالا منعدم النظير، وإذا بهم يشاهدونهم وهم يصعدون إلى السور وهم يكبِّرون الله جل وعلا ويوحدونه.

وعاد الكفار أدراجهم يعانقون صنمهم ويطلبون منه النصر والحماية، ولكن لاحياة لمن تنادي.

إنه لعجب أن ينحدر الفكر البشري فيتوقع أن صنما من الجماد يستطيع نصره وإنقاذه، ولقد كانت تلك العقيدة الساذجة مشتركة بين أمم العالم قبل الإسلام، فزالت تلك العقيدة بدخول الناس في الإسلام، ولكنها بقيت في بلاد الهند آنذاك حيث لم يصل الفتح الإسلامي إلا إلى أطرافها الغربية.

إن أي عاقل يتصور هذا الموقف يدرك الفرق الشاسع بين قوم يستلهمون النصر من حجر، وقوم يستلهمونه من خالقهم وخالق أعدائهم وخالق كل شيء جل وعلا.

ولقد ظهر الحق وزهق الباطل حينما انتصر عباد الله سبحانه على عباد الأصنام، وخسر أولئك الكفار دنياهم وآخرتهم، كما خسر عُبَّاد الأصنام من قبلهم.

خامسًا: حطَّم ذلك القائد الكبير يمين الدولة أكبر أصنام الهند وماحوله من الأصنام، كما حطَّم قبل ذلك آلاف الأصنام، ولم يمرَّ

عليَّ أن قائدا مسلما حطم من الأصنام بقدر ماحطم السلطان محمود ابن سبكتكين، ويكفي مثالا على ذلك أنه لما فتح بلاد قنوج وجَدَ بها مايقرب من عشرة آلاف صنم فأبادها كما تقدم، وهذه منقبة عظيمة لهذا القائد الكبير.

ولفتة جليلة حينما حمل السلطان محمود جزءًا من صنم الهند الكبير «سومنات» فجعله عتبة لباب المسجد الجامع في غزنة، وكأنه أراد أن يقول للناس: هذا الصنم الذي يعبده ويقدسه مئات الألوف من البشر هو الذي نطؤه نحن بأقدامنا، وهذه صورة معبرة من إذلال الكفر وأهله.

سادسًا: لقد مَنَّ الله تعالى على يمين الدولة بتلك الانتصارات المذكورة لكونه جمع بين القوتين: المادية والمعنوية، فهو لم يهمل الأسباب المادية، بل أعد كل ماتمكن منه من السلاح والعتاد والجنود المدربين، إلى جانب اهتمامه بصورة أبلغ بالقوة المعنوية، حيث كان متوكلا على الله تعالى رافعا شعار توحيده، يستلهم منه النصر والتأييد، وقبل ذلك كان مستقيما عادلا في حكمه.

وهكذا كان اهتمام السلطان محمود بن سبكتكين كبيرا بتحطيم الأصنام ، وهذا من أهم وسائل الدعوة إلى الإسلام لأن بقاء الأصنام يمنع عابديها من الدخول في الإسلام، لاعتقادهم بأن الأصنام تنفع عابديها وتحميهم ممَّن يريد إيقاع الضرر بهم، وأنها تضر من أحجم عن عبادتها بأنواع الضرر .

ولذلك فإنه لابد من تخلية القلوب من سلطان الأصنام قبل تحليتها بعبادة الله تعالى وحده .

وبهذه الوسيلة الدعوية الناجحة انتشر الإسلام في بلاد الهند، وقامت للمسلمين دول إسلامية بعد ذلك استمرت مئات السنين.

من مواقفه في الإصلاح والعدل:

من مواقفه في الإصلاح والعدل ماذكره الحافظ ابن كثير بقوله: وبنى على جيحون جسرا تعجز الملوك والخلفاء عنه، غرم عليه ألفي ألف دينار، وهذا شيء لم يتفق لغيره.

قال: وكان عادلا جيدا اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه في داره وعلى أهله في كل وقت، فيخرجه من البيت ويختلي

بامرأته، وقد حار في أمره، وكلما اشتكاه لأحد من أولي الأمر لايجسر أحد عليه خوفا وهيبة للملك، فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدًا وقال للرجل: ويحك متى جاءك فأتني فأعلمني، ولاتسمعن من أحد منعك من الوصول إلي، ولو جاءك في الليل فأتني فأعلمني، ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم: إن هذا الرجل متى جاءني لايمنعه أحد من الوصول إلي من ليل أو نهار، فذهب الرجل مسرورًا داعيًا، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله، فذهب باكيا إلى دار الملك فقيل له إن الملك نائم، فقال: قد تقدم إليكم أن لاأمنع منه ليلا ولانهارًا، فنبهوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد، حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة في فراش واحد، وعندهما شمعة تَقِدُ، فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام وقال للرجل: ويحك الحقني بشربة ماء، فأتاه بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب، فقال له الرجل: بالله لِمَ أطفأت الشمعة؟ قال: ويحك إنه ابن أختي، وإني كرهت أن أشاهده حالة الذبح، فقال: ولِمَ طلبت الماء سريعًا؟ فقال الملك: إني آليت على نفسي منذ أخبرتني أن لا أطعم طعامًا ولاأشرب

شرابًا حتى أنصرك، وأقوم بحقك، فكنت عطشانًا هذه الأيام كلها، حتى كان ماكان مما رأيت. فدعا له الرجل وانصرف الملك راجعًا إلى منزله، ولم يشعر بذلك أحد [1].

فهذا الخبر يدلنا على كمال اتصاف السلطان محمود بن سبكتكين بالعدل وإنصاف المظلومين من ظالميهم، فحينما سمع بهذه الشكوى من ذلك المتظلم اهتم كثيرًا وقام بالبحث والتحري بنفسه، فلم تغلبه العاطفة نحو أقاربه على الحكم بالحق الذي دفعه إليه إيمانه الراسخ.. لم تغلبه من إقرار العدالة وإنصاف المظلومين وإن كانوا من عامة الناس، وعقابِ الظالمين وإن كانوا من أقرب أقاربه.

لقد تأثر كثيرًا من إقدام ابن اخته على تلك الجريمة النكراء منتهزًا فرصة قرابته منه فمنع نفسه الطعام والشراب حتى ينصف المظلوم ويردع الظالم.

وإن اتصاف هذا السلطان بالعدل وإنكار المنكر والتخلق بمكارم الأخلاق كان سببا في انتصاراته العظيمة على الأعداء،

(١) البداية والنهاية ٢/ ٣٢ – ٣٣.

وبلوغه في الفتوحات حدا لم يصل إليه غيره، لأن من خضع لشريعة الله تعالى وطبقها على نفسه وعلى من هم تحت ولايته ينال معية الله جل وعلا بالحفظ والنصر والتأييد.

أما إصلاحاته التي ذكر منها ابن كثير بناء ذلك الجسر العظيم فإنها تدل على اهتمامه بأمور رعيته ورحمته بهم، ورغبته الصادقة في الأعمال الصالحة، رحمه الله رحمة واسعة.

جهاد مسعود بن محمود وابناه مودود وإبراهيم في بلاد الهند

١ - ذكر المؤرخ ابن الأثير في حوادث سنة خمس وعشرين وأربعمائة أن السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين سار بجيشه إلى بلاد الهند،وقصد قلعة سرستي[١]،وهي من أمنع حصون الهند وأحصنها فحاصرها، وقد كان أبوه حاصرها غير مرة لم يتهيأ له فتحها، فلما حاصرها مسعود راسله صاحبها وبذل له مالاً على الصلح فأجابه إلى ذلك، وكان فيها قوم من التجار المسلمين فعزم صاحبها على أخذ أموالهم وحملها إلى مسعود من جملة القرار الذي عليه، فكتب التجار رقعة في نشابة[٢] ورموا بها إليه يعرفونه فيها بضعف الهنود بها وأنه إن صابرهم ملكها، فرجع عن الصلح إلى الحرب، وطم خندقها بالشجر وقصب السكر وغيره، وفتح الله عليه، وقتل كل من فيها وسبى ذراريهم، وأخذ ما جاورها من البلاد[٣].

٢- ذكر المؤرخ ابن الأثير في حوادث سنة خمس وثلاثين

---

(١) تقع في وادي كشمير – المسلمون في الهند (١/ ٣٧) .

(٢) هو السهم الذي يرمي به - معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية (ص٥٢٥).

(٣) الكامل في التاريخ ٨/ ٥-٦.

وأربعمائة أنه اجتمع ثلاثة ملوك من ملوك الهند وقصدوا«لهاوور»[1] وحاصروها، فجمع مقدم العساكر الإسلامية بتلك الديار من عنده منهم وأرسل إلى صاحبه مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين يستنجد به، فسير إليه العساكر، فاتفق أن بعض أولئك الملوك فارقهم وعاد إلى طاعة مودود، فرحل الملكان الآخران إلى بلادهما، فسارت العساكر الإسلامية إلى أحدهما ويعرف بدوبال هربانه فانهزم منهم، وصعد إلى قلعة له منيعة هو وعساكره وكانوا خمسة آلاف فارس وسبعين ألف راجل، وحاصرهم المسلمون وضيقوا عليهم وأكثروا القتل فيهم، فطلب الهنود الأمان على تسليم الحصن، فامتنع المسلمون من إجابتهم إلى ذلك إلا بعد أن يضيفوا إليه باقي حصون ذلك الملك التي لهم، فحملهم الخوف وعدم الأقوات إلى إجابتهم إلى ماطلبوا، وتسلموا الجميع وغنم المسلمون الأموال، وأطلقوا مافي الحصون من أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف رجل.

فلما فرغوا من هذه الناحية قصدوا ولاية الملك الثاني واسمه

(١) هي مدينة لاهور في باكستان- معجم أماكن الفتوح (ص١٦) .

ثابت بالْري فتقدم إليهم ولقيهم واقتتلوا قتالا شديدًا، وانهزمت الهنود، وانجلت المعركة عن قتل ملكهم وخمسة آلاف قتيل وجريح، وأُسِرَ ضعفاؤهم، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم.

فلما رأى باقي الملوك من الهند مالقي هؤلاء أذعنوا بالطاعة، وحملوا الأموال وطلبوا الأمان والإقرار على بلادهم فأجيبوا إلى ذلك[1].

٣ - ذكر المؤرخ ابن الأثير في حوادث سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة أن السلطان إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين غزا بلاد الهند فحاصر قلعة «أجود» وهي على مائة وعشرين فرسخا[2] من «لهاوور» وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة، فقاتلوه وصبروا تحت الحصار، وزحف إليهم أكثر من مرة فرأوا من شدة حربه ماملأ قلوبهم خوفا ورعبا، فسلموا القلعة إليه في الحادي والعشرين من صفر.

---

(١) الكامل في التاريخ ٨/ ٢٨.

(٢) الفرسخ ٦ كيلوات ، فتكون المسافة ٧٢٠كم .

ثم ذكر أنه فتح قلعة روبال وموضعين آخرين يقال لاحدهما «دره نوره»والآخر«وره»وكان النصر حليفه في كل تلك الحروب[1].

وهكذا قام السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين بإكمال مابدأه أبوه وثبت حكم المسلمين في الهند، وكذلك ماقام به ابناه مودود وإبراهيم، وهذا الحكم الإسلامي في بلاد الهند الذي امتد تلك السنوات الطويلة مكن لوجود الإسلام في الهند حيث استمر بعد ذلك دخول الهنود في الإسلام وقيام الحكم الإسلامي فيها.

(١) الكامل ٨/ ١٢٧.

مواقف لبعض حكام الدولة الغورية

بعد أن أقام السلطان غياث الدين محمد بن سام الغوري دولة إسلامية في شمال الهند عاد إلى «غزنة»[1] وأناب أخاه شهاب الدين محمد بن سام في حكم الهند .

وعقب استيلاء شهاب الدين على لاهور عام٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، هجم على الهند المركزية أي ولاية أجمير وراجبوتانا، وقد أرسل أولاً إلى أجمير قوام الملك ركن الدين حمزة من أعيان ملكه ليحث حاكم أجمير بِتوَاري على الدخول في الإسلام، ولكنه رفض ورد ردًا غليظًا، واستعان بجميع حكام الهند الذين اجتمعوا لحرب السلطان شهاب الدين في تاريخ عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م، وهُزم منهم هزمة منكرة، ونجى السلطان نفسه بأعجوبة، وقد أقسم ألا يغير ملابسه أو يبيت مع زوجته حتى يثأر لنفسه، وفي العام التالي ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م تحرك شهاب الدين بجيش جرار من غزنة وهجم على أجمير، وفي منطقة تانيسر رد الهزيمة لحاكم أجمير ومن ناصره من الحكام الهنود، وقتل

(١) وهي مدينة في أفغانستان .

أجمير نفسه، وبفتح تانيسر سقطت الهند الشمالية كلها تحت سيطرة الغوريين .

وتعد معركة تارين الثانية علامة مميزة في التاريخ الهندي ، فذكر سميث V.A.Smith أن معركة تارين الثانية كانت بمثابة الرد الحاسم الذي أثبت النجاح الأخير لغزو شهاب الدين الغوري للهندوستان، وما أعقبها بعد ذلك من فتوحات كانت نتيجة للهزيمة الساحقة للهندوس في شمال الهند، كما ذكر «د. نظامي» أن معركة تارين كانت كارثة كبرى للراجبوت، فقد أظهر أثرها في ضعف وانحلال العديد من ممالك الراجبوت الذين اشترك أمراؤهم المعركة، ولم يظهر من يلم شملهم، ويمنع زحف المسلمين .

وقد سلَّم بعد ذلك الملك شهاب الدين الولايات المفتوحة لغلامه قطب الدين أيبك، وعينه على قلعة كهرام، وعاد شهاب الدين إلى غزنة، وقد فتح قطب الدين ميرت ودهلي سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، وجعل دهلي عاصمته في الهند .

لقد كان السلطان شهاب الدين الغوري هو أول من أسس

دولة إسلامية في الهند، لأن الفاتحين الذين سبقوه كانوا يقومون بمحاربة ملوك الهند ثم يرجعون إلى بلادهم وقد قام أحفاد السلطان محمود الغزنوي بحكم مناطق صغيرة لاتمثل دولة واحدة .

وكان لفتوحات الغوريين في الهند أثر كبير في نشر الإسلام، والقيام بتحطيم المعابد الهندوسية .

وقد اهتم الغوريون بنشر الإسلام في الهند، فقد نجح السلطان شهاب الدين في تحويل قبائل الكهكريين للإسلام، وتقع ولايتهم من شاطئ نهر نيلاب إلى سفح جبل سوالك، وكانوا يقومون بإيذاء من يقع في أيديهم من المسلمين وإهانتهم، وقد عاقبهم السلطان، ولكنهم لم يتوقفوا عن بغيهم حتى وقع أحد المسلمين في أسرهم آخر أيام شهاب الدين، وحدثهم عن الإسلام ، فاستحسن رئيسهم ذلك، فعرض عليه المسلم أن يحصل له مقابل إسلامه على عفو السلطان شهاب الدين، وأن يظل حاكمًا لولايته، وقد وافق شهاب الدين على ذلك، ومنح رئيس الكهكريين الخلع الفاخرة فدخل في الإسلام إلا الخارجين عن سلطانه، كما أدخل كفار تراهية، القاطنين المنطقة الجبلية

بين غزنة والبنجاب ، وكانوا يستوجبون قتل المسلمين لدخول الجنة،في الإسلام في نفس العام.

واستطاع محمد بن بختيار الخليجي حاكم مدينة «أوده» أن يقوم ببعض الفتوحات في مملكة بهار في البنغال، ولما سمع بأمره قطب الدين أرسل إليه الخلع والتشريفات، فاستغل محمد بن بختيار معاونة قطب الدين ، ونجح في فتح قلعة بهار، وغنم غنائم لاحصر لها، أخذها إلى قطب الدين، فاعتنى به ، وأنعم عليه، وتوجه بعد ذلك للاستيلاء على مملكة لكهنوتي وعاصمتها «نوديا» ، وقد هجم عليها بجيش جرار مع تحرك سريع حتى لاينتشر خبر قدومه، ففاجأ حاكم لكهمير بالهجوم على قصره ، وفر الحاكم، واستولى محمد بن بختيار على المملكة، وقد قام بتعميرها بالمساجد والخوانق والمدارس .

وكان شهاب الدين يحكم الهند نيابة عن أخيه حتى توفي أخوه غياث الدين الغوري عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م ، فانفرد شهاب الدين بعده بالحكم، وتلقب بمعز الدين ، وفي عام ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م توجه شهاب الدين للهند لتأديب قبائل الكوكر التي تقطع الطريق وتنشر

الفساد، فهزمهم هزيمة شديدة ، وغنم منهم غنائم كثيرة، ولكنه ما لبث أن استشهد في عودته عند قرية دميك، بيد جماعة من الكوكر، وقيل قتله الإسماعيلية لمحاربته إياهم، وسار به أصحابه حتى دفنوه في غزنة .

وقام بعده السلطان غياث الدين محمود بن محمد بن سام، ابن شقيق السلطان معز الدين ، بمنح قطب الدين أيبك الحكم واللقب السلطاني، فتوجه قطب الدين من دلهي إلى لاهور المركز الإسلامي في الهند، وجلس على عرشها ، وقد جرت حرب بينه وبين تاج الدين يلدوز على لاهور، انتصر فيها قطب الدين ، وتوجه قطب الدين لغزنة وضبط أمورها، ثم عاد إلى الهند وأرسى قواعد مملكته بها، وأسس بذلك دولة المماليك في الهند التي حكمت بعده حتى ٦٨٦هـ/ ١٢٨٨م، وقد عمل على نشر الإسلام وإقامة العدل في مملكته ، وامتد حكمه أربعة أعوام وشهور .

وقد تبين لنا من هذا العرض أن مدينة «غزنة » الأفغانية قد أنجبت السلطان محمود الغزنوي الذي سبق الكلام عنه وقد تولى

عدد من أبنائه وأحفاده مناطق في الهند، كما أنجبت السلاطين الغوريين الذين من أشهرهم شهاب الدين محمد بن سام، وقد جاهد الغزنويون والغوريون في الهند وحكموا مناطق كبيرة منها ما يقرب من ثلاثمائة عام ، فهي بلدة عظيمة وفي منطقة حافلة بالقادة والجنود .

وفي موقف السلطان شهاب الدين لما هُزم من أعدائه فأقسم أن لا يغير ملابسه ولا يقرب من زوجته حتى ينتقم من أعدائه مثل من الحزم وكان لهذا الحزم القوي أثر على جنوده فهزم أعداءه في الهند واستولى على مناطق مهمة ، وكانت هذه المعركة التي شتتت الأعداء بداية إنشاء دولة الغوريين في الهند [1] .

(١) تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية في الهند لوفاء محمود (١١١-١١٢و ١٥٧-١٥٨) عن عدد من المراجع.

الفتوحات في بلاد الهند
بعد العباسيين

جهاد السلطان محمد شاه البهمنيّ – عام ٧٦٣هـ -

هو محمد بن الحسن البهمنيّ، السلطان المجاهد في سبيل الله. قام بالملك بعد والده سنة تسع وخمسين وسبعمائة بأرض دكن في بلاد الهند،وافتتح أمره بالعدل والسخاء، وسار إلى بلاد تلكانه سنة ثلاث وستين، فقاتل أهلها وغنم من الذهب والجواهر الثمينة مالا يحصى، وعاد إلى كَلبركَه، ثم سار في سنة أربع وسبعين إلى تلك البلاد، ولما عرف صاحبها عجزه عن المقاتلة أرسل إليه يطلب المصالحة على مال يؤديه، فأبى محمد شاه ثم أجابه إلى ذلك على ثلاثمائة فيل ومائتي فرس وثلاثة عشر مائة هَنّ وبلدة كَولكنده، فأرسل إليه كل ذلك صاحبها وأرسل إليه سريرًا مرصعًا من الذهب والجواهر، فرجع إلى كَلبركَه وأرسل خمس الغنائم إلى الشيخ سراج الدين الجنيدي ليفرقها على من يستحقها من السادة والمشايخ.

وفي تلك السنة قدم إليه صاحب بيجانكَر وأخذ قلعة مدكل عنوة وقتل ثمانمائة من المسلمين ممن كانوا فيها، فلما سمع محمد شاه اشتعل غضبًا وحلف أنه يقتل من الوثنيين مائة ألف في قصاص المقتولين، ثم جعل ولده المجاهد وليَّ عهده وأوصى إليه وسار بتسعة

آلاف فارس إلى صاحب بيجانكَر وكان معه ثلاثون ألف فارس وتسعمائة ألف راجل[1]، ونهر كشنه كان عظيمًا كثير الزيادة لايخطر على قلب أحد أن محمد شاه يقدر على عبوره، وأيده الله سبحانه على العبور فأقام على شاطئه، وألقى الله تعالى الرعب في قلب صاحب بيجانكَر فهابه وبعث الأحمال والأثقال كلها إلى بيجانكَر، وأقام بمعسكره ليستشير أصحابه في الحرب، فإن رضوا بالحرب حاربوه وإلا يذهب إلى بيجانكَر ويتحصن بها، والأحمال التي بعثها إلى بيجانكَر لم تتجاوز ميلين لشدة الوحل ذلك اليوم، فلما سمع محمد شاه أنه ينتهز الفرصة للفرار بكر إليه بعساكره، فتركوا الفيلة والأموال وماكان معهم من الأحمال وفروا إلى قلعة أودني فأقام محمد شاه في معسكره وقبض على أمواله وأمر بالقتل، فقتل من الوثنيين في ذلك اليوم سبعين ألفًا من الرجال والنساء والولدان من غير تفريق، وحصل له من المغانم ألفان من الفيلة وثلاثمائة من عجلات المدافع وسبعمائة من الأفراس.

(١) هكذا جاء هذا الرقم في الخبر، ولعل فيه خطأ أو مبالغة من الراوي.

ثم سار إلى مدكل وأقام بها، ولما انقضت أيام المطر قصد قلعة أودني فلما سمع صاحب بيجانكر استخلف بها ابن أخيه وذهب إلى ناحية من نواحي بلاده، فسار محمد شاه إلى بلاد بيجانكر مع المقاتلة، وأرسل الأحمال والأفيال إلى كَلبركَه وقصد معسكر صاحبها، فبعث إليه صاحب بيجانكر مقدم عساكره بأربعين ألف فارس وخمسمائة ألف راجل، وكان عساكر محمد شاه خمسة عشر ألف فارس وخمسين ألف راجل مع مالحق به من بعض عساكر الأمراء بعد خروجه عن كَلبركَه، فالتقوا واقتتلوا وانهزم الوثنيون، وأكثر محمد شاه في القتل فلم ينج منهم إلا القليل النادر، وأقام بها سبعة أيام.

وسار محمد شاه في أثر صاحب بيجانكَر وحاصرها وضيق على أهلها وأدام الحصار إلى شهر كامل، ثم دبر الحيلة وتمارض وأمر برجوع العساكر من بيجانكَر، فلما سمع المشركون ذلك طمعوا في قتلهم ونهب أموالهم، فخرج صاحب بيجانكَر من القلعة وتعقب المسلمين حتى وصل إلى ماء تمهندره وعبرها ووصل إلى أرض قفراء، فقام محمد شاه من فراشه وجلس للناس وقت المساء وقويت عساكره برؤيته فأمرهم أن تجهزوا للحرب، وسار بعساكره في الليل إلى

معسكر المشركين وكانوا مشتغلين بالرقص والغناء، ولم يعلموا بمجيئه إلا حين وقف على رؤوسهم في البكرة، فاختلت حواسهم وفر كل واحد منهم إلى ناحية من نواحي الأرض وتركوا جميع مالهم من الأموال والأحمال، وأمر محمد شاه بقتلهم فقتل منهم حينئذ عشرة آلاف، وغنم محمد شاه أموالاً طائلة، ثم تعقبهم إلى أربعين ميلاً من بيجانكر وقتل وغنم، فاضطروا إلى الصلح وأرسل كشن راي إلى محمد شاه يطلب الصلح على مال يؤديه عاجلاً، فرجع محمد شاه إلى كَلبركَه واشتغل بمهمات الدولة، واستقل بالملك سبع عشرة سنة وتسعة أشهر [1].

في هذا الخبر مواقف جهادية عالية منها:

١ - جرأة السلطان محمد شاه على ملاقاة جيش يتكون من ثلاثين ألف فارس وتسعمائة ألف راجل - كما جاء في الرواية- بتسعة آلاف فارس،وهذا الرقم المذكور لجيش الأعداء قد يكون فيه مبالغة،

(١) المختار المصون للدكتور محمد بن حسن بن عقيل/ ٢٩٩ – ٣٠١ نقلا عن الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام لعبدالحي الندوي.

ولكنه يدل على أن جيش الأعداء كان كبيرًا وأن الفارق بين الجيشين كبير جدًّا،وهذا يدل على جسارة عظيمة، وشجاعة عالية، واختيار جيد للجنود،ولاشك أن الروح المعنوية لجيش المسلمين كانت عالية جدًّا،وماذلك إلا من قوة تمسكهم بالإسلام، حيث كان لعلماء الدين آنذاك دور كبير في تربية الأمة على الاستقامة والإخلاص.

٢ - إقدام السلطان محمد شاه على عبور نهر كشنه مع كثافة وزيادة مائه، بحيث يغلب على الظن - حسب المعتاد - عدم القدرة على العبور، وذلك - بعد توفيق الله تعالى - شاهد على شدة الإقدام وقوة الحماس عند المسلمين، ولعل هذا الإقدام الشديد الذي يصل إلى حد المغامرة كان سببا من أسباب إصابة الأعداء بالرعب من المسلمين.

٣ - دقة رصد السلطان محمد شاه، حيث علم بما يدور في معسكر الأعداء من المشاورة على الإقدام على قتال المسلمين أو التحصن بمدينة «بيجانكر»، ثم ماكان عليه هذا السلطان من الحزم واغتنام الفرص المناسبة، حيث أقدم على قتال الأعداء مع أول النهار

قبل أن ينسحبوا وكانوا في حال تردد وانهزام معنوي، فكان ذلك ممهدا لهزيمتهم عسكريا، حيث لاذوا بالفرار وتركوا فِيَلتهم التي كانت هي أسلحتهم الثقيلة وتركوا أموالهم، وأكثر المسلمون من القتل فيهم وهم منهزمون، وكون المسلمين قتلوا بعض نساء العدو وأطفالهم مخالفة شرعية حيث لايجوز قتل النساء والصبيان إلا إذا شاركوا في القتال، ولعلهم كانوا قد شاركوا، أو لعل ذلك صدر من بعض جنود المسلمين جهلا منهم بالحكم الشرعي في ذلك.

٤ - لم يكتف السلطان محمد شاه بهذا النصر المؤزر على أعدائه، بل سار خلفهم ليقضي على ماتبقى من قوتهم حتى لايفكروا بغزو المسلمين مرة أخرى، وقد اعتبر أن الخطر على المسلمين مازال باقيا مادام رأس أعدائه قائما على حكم بلاده، فسار إليه حتى حاصر عاصمة ملكه «بيجانكر»، وهذا التصميم منه على إنهاء ملك تلك البلاد دليل على خبرته الحربية والإدارية.

٥ - في المعركة الأخيرة مع عدوه استعمل الخداع الحربي حينما حالت التحصينات القوية والجدر السميكة بينه وبين عدوه، حيث

أظهر أنه مريض ورجع إلى بلاده، وجازت هذه الخدعة على أعدائه فخرجوا يتعقبون المسلمين ليوقعوا بهم، فلما وصلوا إلى المكان الملائم للحرب نهض السلطان محمد من فراشه وصار يزاول مهامه القيادية بقوة وحزم، ثم داهم الكفار وهم غارقون في لهوهم فأوقع بهم فلم يكن لهم مقاومة، بل فروا وتركوا أمتعتهم.

وهكذا انتهت هذه المعارك المثيرة بين السلطان محمد شاه وعدوه صاحب «بيجانكر» بانتصار حاسم للمسلمين في جميع تلك اللقاءات.

جهاد السلطان محمود بن محمد الكجراتيّ

هو السلطان العادل المجاهد أبو الفتح سيف الدين محمود بن محمد بن أحمد الكَجراتي المشهور بمحمود بيكر.

كان من خيار السلاطين، ولد بكَجرات[1] سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وقام بالملك بعد داود شاه سنة اثنتين وستين وثمانمائة وكان يوما مشهودًا، واستقل بالملك خمسًا وخمسين سنة، وفتح قلعة باردو وفتح قلعة كرنال وكانت من أمنع قلاع الهند، وأنشأ مدينة في سفح الجبل وسماها مصطفى آباد[2] وجعلها دار المملكة.

وفتح قلعة بيت ودوارْكا وفيها صنم من أشهر أصنام المشركين في الهند،، يحجون إليه ويرون من العبادة تكلف المشاق في الوصول إليها، حتى إن منهم من ينبطح على وجهه ويمد يديه أمامه ويقف ثم يضع قدمه على منتهى يده وينبطح ويمد يده ويقف، وهكذا يقطع الطريق إليها ولو من مسافة أشهر،فملكها سنة خمس وثمانين وثمانمائة،

---

(١) هي ولاية هندية تقع على الساحل الغربي ومن أهم مدنها بومباي- معجم الأمكنة للندوي (ص٤٥-٤٦).

(٢) مدينة هندية تقع في ولاية كجرات غرب الهند.

وسار إلى جانپانير وحاصر قلعتها، وكانت قلعة حصينة متينة على قُلَّةِ جبل[1] لاتكاد تفتح، فضيق في الحصار وحاصرها مدة طويلة حتى فتحها سنة تسع وثمانين وثمانمائة[2].

وهكذا قضى السلطان محمود بن محمد الكجراتي على ذلك الصنم الذي يعظمه الوثنيون في الهند ويحجون إليه، ويتكلفون المشاق في بلوغه، وإن القضاء على الأوثان من أهم الوسائل الناجحة في الدعوة إلى التوحيد، لأن الأصنام هي أكبر العوائق التي تحول بين العقل والطموح نحو المعاني السامية التي يدعو إليها الإسلام، فإذا أزيلت ولم يحصل على من أزالها ضرر فإن الناس من عابديها يفهمون بأنها لاقيمة لها في الضرر والنفع، فيصبحون بعد ذلك مهيئين لقبول دعوة التوحيد.

ومن مآثره الجميلة قيامه بالعدل والإحسان وإنفاذ أمر الشرع في السياسة، ومما يحكى عنه في ذلك أنه بلغه عن بهاء الملك بن علاء الملك

---

(١) رأس جبل.

(٢) المختار المصون للدكتور محمد بن حسن بن عقيل موسى / ٨٧٧، نقلا عن « الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام » للشيخ عبد الحي الندوي الحسني.

ألف خان سهراب أنه قتل سلاحدارًا [1] له فطلبه[2]، فلاذ بعماد الملك وعضد الملك واستجار بهما، فلم يجدا لخلاصه سبيلاً سوى نسبة القتل إلى غيره،فأرضيا شخصين على ضمان الخلاص لهما،وبعد الإقرار به سَعَيا في الدية وكانا عوّلا عليها في الخلاص فلم تقبل الدية ومضى الحكم بقتلهما وخلص بهاء الملك،وبعد يسير وقف محمود شاه على حقيقة الحال وتعب إلى الغاية وجلس للقضاء وأمضى في الملكين حكم القصاص،ولم يمنعه كونهما من عظماء ملوكه الخاصة به من أن يعمل بالشريعة[3].

وهذا التصرف من هذا السلطان يدل على قوة إيمانه بالإسلام وخشيته من الله تعالى، فإن مما ينظر إليه الساسة في تثبيت سيادتهم مداراة رؤوس مراكز القوى في دولهم، وإن أضر ذلك بعامة الناس، وهذا عمل أهل الدنيا لأنهم ينظرون إلى تثبيت السلطة من غير نظر إلى الحساب في الآخرة، أما أهل الآخرة فإنهم ينظرون إلى النجاة من

(١) أي حافظ الأسلحة ومتوليها.

(٢) أي طلب السلطان محمود بهاء الملك.

(٣) المختار المصون / ٨٧٨، عن « الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام ».

المسؤولية أمام الله تعالى يوم القيامة، وهذا يتطلب منهم أن يحكموا بالعدل حتى مع الكبراء،وإذا كانت العدالة قد تفقد المسؤول دعم بعض مراكز القوى فإنها تمنحه دعم الألوف من الرعية الذين يتمتعون بعدله، كما كانت حال هذا السلطان الذي بقي في السلطة خمسا وخمسين سنة.

ومن مكارمه أنه استقل بالملك خمسا وخمسين سنة وجاهد في الله حق الجهاد ووسع حدود ملكه إلى مالوه[1] وإلى بلاد السند، ولكنه في تلك المدة الطويلة لم يطمح إلى بلاد المسلمين ولم يستشرف لها قط، وإذا استولى القويّ منهم على الضعيف قام بنصرة الضعيف، كما وقع له في سنة ست وستين وثمانمائة إذ وصل إليه حاجب نظام شاه البهمنيّ صاحب دكن[2] يخبره أن محمود شاه الخلجيّ صاحب مالوه خرج إليه بعساكره، فعطف السلطان عنانه من الصيد وتوجه إلى سلطان يُورْ بِمَنْ حضر معه، وأمر الوزير أن يلحقه بالعسكر، ولما نزل

(١) ولاية هندية تقع في وسط الهند- تعريف المدن وتحديدها ا لتي في كتاب فتوح البلدان (ص١٤٤).

(٢) أي إمارة دكن في جنوب الهند .

بسلطان يور قدم حاجب آخر يخبر بالحرب وأنه حاصر دار ملكه بيدر، فنهض السلطان من سلطان يور،ولما كان منزله تهالنير قدم حاجب آخر يخبر برجوع الخلجيّ، وذلك لأنه سمع بوصول محمود شاه الكجراتي فترك بيدر ورجع إلى مندو،وكذلك في سنة سبع وستين وثمانمائة وصل حاجب نظام شاه يخبر أن الخلجيّ خرج بتسعين ألف فارس إلى حدود نظام شاه، فنهض السلطان مع الحاجب وبلغ الخلجي ذلك بفتح آباد من أعمال تلنكَانه[1] فرجع إلى دار ملكه، فكتب السلطان إلى محمود شاه الخلجيّ مامعناه: ليس من المروءة قصد طفل لم يبلغ الحلم وقد التزمت حفظ ملكه إلى أن يبلغ مبلغ الرجال، فإن دخلت في حده خرجت إلى حدك وفيما يليك من جهات الكفر مايغني عنه ويرفع درجتك بالجهاد.

وإذا انتهيت إلى الســـــلا مـة في مــداك فــلا تجــاوز

وكذلك لما بلغ محمود شاه سنة سبع وسبعين وثمانمائة خروج النوتك القواسه على سلطان السند بلغ عددهم أربعين ألفا، وهي

(١) تلنكانه ولاية هندية تقع جنوب الهند- معجم الأمكنة (ص١٩) .

طائفة بحرية تسكن الجزر بنواحي السند، لاتجتمع على طاعة أحد، إنما هي من لصوص البحر، فنهض من مصطفى آباد يسير كل يوم ستين فرسخًا، فلما قرب من السند تفرقوا، فتوقف السلطان بمنزله إلى أن وصل رسول ملك السند برسالة تتضمن شكره، فرجع إلى دار ملكه، وكذلك لما بلغه أن جماعة من الأمراء تغلبت في خانديس واختل بها نظام الملك نهض إلى برهانيوز بعساكره، وولى عليها عالم خان بن أحسن خان الفاروقي أحد وارثي المملكة، ولقبه أعظم همايون[1] عادل خان، وكان ابن بنته، وذلك في سنة أربع عشرة وتسعمائة.

ومن ذلك أنه لما توفي محمود شاه الخلجي سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة وبلغ وفاته ترحم عليه فعرض عليه بعض أرباب الرأي الخروج إلى مندو، فأجابه: ليس من الفتوة اجتماع مصيبتين في وقت واحد على أهل بيته: فقد ذاته، وخلل جهاته.

ومن ذلك أنه لما سمع سنة ست وتسعمائة أن ناصر الدين شاه

(١) همايون لفظ فارسي يطلق على السلطان – المعجم الوسيط – .

الخلجي سم أباه غياث الدين الخلجي خرج إلى مندو وقصد تأديبه لاملكه، وبينما كان ينهض تواترت الرسل من ناصر الدين ببراءة ذمته فتركه، وفي كلها مفخرة عظيمة له [1].

وبعد: فهذه أخبار عالية عن السلطان محمود بن محمد الكجراتي في الزهد في الجاه، والعفة عن دماء الناس وأموالهم، فقد عاش الأمراء المسلمون من حوله خمسا وخمسين سنة بسلام، ونَعِمَت الهند بشيء من الاستقرار السياسي الذي ينتج عنه تمتع الناس بنعمة الأمن، حيث كان لايعتدي على الإمارات الإسلامية التي حوله، ولايترك القوي من أولئك الأمراء يعتدي على الضعيف، وهذه خصلة حميدة وسياسة عالية، ولقد سبق بذلك هيئة الأمم في مهمتها السياسية العالمية، ولكن بصورة مصغرة اقتصر على الإمارات الإسلامية في الهند، ولقد كان ينطلق في هذه السياسة من واجبه الإسلامي، حيث جاء في الإسلام وجوب نصر المظلوم على الظالم، انطلاقا من قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى

(١) المرجع السابق / ٨٧٨ – ٨٧٩.

ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الحجرات: ٩ – ١٠].

وقول رسول الله ﷺ :«انصر أخاك ظالما أو مظلوما،فقال رجل: يارسول الله أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه – أو قال: تمنعه – من الظلم فإن ذلك نصره» أخرجه الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه [1].

(١) صحيح البُخَارِيّ، رقم ٦٩٥٢، الإكراه (١٢/ ٣٢٣).

جهاد السلطان بابر

هو السلطان بابر بن عمر بن أبي سعيد بن ميران شاه بن تيمور التيموري.

تولى السلطة في «أندجان» من بلاد ماوراء النهر[1] في عام تسعة وتسعين وثمانمائة وله اثنتا عشرة سنة، ثم وسع سلطنته فاستولى على افغانستان وبعض الهند.

وشعر أحد أمراء الهند الوثنيين القدامى بخطر قيام حكومة يحكمها المسلمون الغزاة الوافدون من الخارج، وإفلات الأمر من يدهم، وهو الأمير «رانا سانكَا» حاكم «چتور»، وكان قائدًا باسلاً محنكًا فعبأ جيشًا كبيرًا، واتفق معه من الأفغان من كان منتصرًا للأسرة اللودهية الأفغانية التي انتزع منها «بابر» الحكم، فتألف بذلك نحو مائتي ألف محارب، وتوجه الجيش إلى «اكَره» وتوجه «بابر» بجيشه وهو يتألف من اثني عشر ألف جندي، وذلك في جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة للهجرة، واستقر في موضع يسمى «خانوه»، وهو في شمال الهند .

---

(١) وتقع الآن في جمهورية أوزبكستان – موسوعة ألف مدينة إسلامية (ص٦٨) .

كاد الوهن يدب إلى جيش «بابر» فقام في الجيش وأعلن توبته عن تعاطي الخمر الذي كان معتادًا له، واستحلف قادة الجيش على الصمود حتى يقضي الله في شأنهم وحميت المعركة واستعر القتال، وكان الفتح للجيش الإسلامي، وقتل من الجيش المنافس من لايأتي تحت العد والحصر، وكان فتحًا حاسمًا قضى بقيام حكومة مسلمة، على رأسها الأسرة المغولية من أحفاد بابر دامت أكثر من ثلاثة قرون، حتى انتزعها منها الإنجليز في سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف، وكانت هذه الحرب المقررة لمصير المسلمين السياسيّ في الهند في سنة ثلاث وثلاثين وتسع مائة[1].

في هذا الخبر بيان علو همة السلطان بابر، حيث شملت إمارته بلاد ماوراء النهر وافغانستان والهند، وفي المعركة المذكورة التي كانت بينه وبين ملك الهند يظهر مثل من عظمة المسلمين الحربية، ومقدرتهم القتالية الفائقة، حيث انتصر السلطان بابر بجيشه الذي لايتجاوز اثني عشر ألف على ملك الهند الذي يتكون جيشه من مائتي ألف،

(١) المختار المصون / ٨٤٣-٨٤٤، عن الأعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام.

وإذا عرفنا أن وسائل القتال آنذاك مشتركة بين المتحاربين، وأنه ليس هناك تفوق ظاهر في السلاح لأحد الفريقين المتقاتلين فإننا ندرك مدى القوة المعنوية التي يتمتع بها المسلمون.

وفي هذا الخبر إشارة إلى إدراك هذا السلطان بأن النصر الحقيقي هو من عند الله تعالى،وأن عباده المسلمين ليسوا أهلا لنصره وهم يرتكبون المعاصي، فكان منه أن أعلن توبته عن شرب الخمر، وهذا يعني أنه في تلك الحال كان في إقبال شديد على اللجوء إلى الله جل وعلا والتوكل عليه.

وفي هذا الخبر بيان أن المسلمين في الهند قبل حكم هذا السلطان كانوا في ضعف شديد وأن ملوك الهند الوثنيين قد ظهروا عليهم، فكان قدومه وانتصاره إعزازًا لوجود المسلمين في الهند، وسببا في دوام دولتهم فيها أكثر من ثلاثة قرون، ولهذا كانت هذه المعركة مصيرية حسمت واقع السلطة على الهند لصالح المسلمين.

جهاد السلطان عالمكير

هو الإمام المجاهد أبو المظفر محيى الدين محمد أورنكك زيب عالمكير بن شاهجهان.

ولد سنة ثمان وعشرين وألف في أيام جده جهانكير بن أكبر شاه، ونشأ في مهد السلطة، وتولى الإمارة سنة ثمان وستين وألف، فافتتح أمره بالعدل والإحسان ورفع المظالم والمكوس[١].

فتح الفتوحات العظيمة وساس الأمور وأحسن إلى الرعية وصرف أوقاته في القيام بمصالح الناس، وكلما فتح بلادا شرع في فتح أخرى حتى لحقت حدود مملكته في الجهة الشمالية إلى حدود خيوا وبخارى[٢]، وفي الجهة الجنوبية إلى البحر المحيط الهندي، وفي الجهة الغربية إلى سومنات على شاطئ بحر الهند وفي الجهة الشرقية إلى بوري منتهى أرض أريسه.

وكان ماهرا بالرمي والطعن والضرب والفروسية وغيرها من

---

(١) المكوس نوع من الضرائب تفرض على البضائع الداخلة – معجم المصطلحات التاريخية (ص٢١٥).

(٢) خيوا وبخارى من مدن جمهورية أوزبكستان حاليا- موسوعة ألف مدينة إسلامية .

الفنون الحربية، وكان شجاعا مقداما باسلاً لايظهر له في الهيجاء فزع ولاجزع ولاطيش ولاخفة، بل من رآه ظن أنه قد جاء من بعض المنتزهات وهو قد خرج من معركة تطير لها العقول وتشيب لها الولدان.

وكان مشهورًا بالشجاعة منذ صغره، فقد جاء من أخباره أن والده شاهجهان كان يوما يتفرج في البرج المشرف على نهر «جَمَنْ» على مصارعة الأفيال التي كانت في عرصة القلعة فيما بينها وبين النهر، والأفواج كانت قائمة بين ظهرانيها وخلق كثير يتفرجون عليها في تلك العرصة، وكان عالمكير أيضا في ذلك الزحام وهو يومئذ في الرابعة عشر من عمره وكان على فرس على جري العادة، فإذا بِفِيْلة قد ثارت وقصدت الأفواج، ففر الناس كلهم من بين يديها إلا عالمكير فإنه ثبت على مقامه، فتوجهت إليه الفيلة ولفَّت فرسه بخرطومها، وصرع عالمكير من صهوة الفرس، ثم قام وسل السيف عليها، ثم جاء الناس ودفعوها بالضرب والطعن وإيقاد النار وغير ذلك، وهذه مفخرة عظيمة في الثبات والعزيمة قلَّ أن توجد في أبناء الملوك في تلك السن.

ومن مآثره أنه نصب الجزية على الكفار بعد أن لم تكن، وتم له ذلك مع أنه لم يتم لأحد من أسلافه.

ولقد اشتهر بالعبادة والزهد وكان ذلك من أسباب تفوقه في الجهاد، فقد حفظ القرآن الكريم بعد توليه السلطة، وكان يداوم على الطهارة بالوضوء، ويحافظ على الأذكار والأدعية المأثورة عن النبي ﷺ والصلاة في الليل وكان يصلي بالناس صلاة التراويح.

وقد وُصِف بالملك العادل الزاهد، وبلغ من الزهد مبلغا أناف فيه على ابن أدهم، فإنه مع سعة سلطانه يأكل في شهر رمضان رغيفا من خبز الشعير من كسب يمينه.

وكان له اهتمام جيد بالعلم ومن اهتمامه بعلم الحديث أنه ألف كتاب «الأربعين» قبل أن يتولى السلطة، ثم ألف كتابا آخر بعد الولاية جمع فيه أربعين حديثا وترجمها إلى الفارسية وعلق عليهما الفوائد النفيسة، وكانت له مهارة تامة بالفقه، ويُضرب به المثل في استحضار المسائل الجزئية، وقد صنف العلماء بأمره «الفتاوى الهندية» في ستة مجلدات كبار، فاشتهرت في الأقطار الحجازية والمصرية والشامية

والرومية، وعم النفع بها وصارت مرجعا للمفتين، وقد أنفق على جمعها مائتي ألف من النقود.

وكان ماهرا في الإنشاء والترسل، لم يكن له نظير في زمانه في ذلك، وقد جمع شيئا منها كثيرا أبو الفتح قابل خان التَّتوي في «آداب عالمكيري» وعناية الله خان في «الكلمات الطيبات» و «الرقائم الكرائم».

ومن مآثره أنه كان سخيًّا يبذل على الفقراء وأهل الحاجة العطايا الكبيرة ويسامحهم في الغرامات، ومن ذلك أنه أبطل ثمانين نوعا من الضرائب في سنة تسع وستين وألف، وكانت تُدِرُّ عليه ثلاثين لَكّـًا في كل سنة [1].

ومن ذلك أنه بذل أموالا طائلة في إصلاح الشوارع والطرق في نواحي الهند وافغانستان، وحفر الآبار وأجرى العيون وأسس الجسور والرباطات وغير ذلك.

كما أنه اهتم بالمساجد فبنى مساجد كثيرة وعمر القديمة منها

(١) أي ما يعادل ثلاثة ملايين.

وجعل الأرزاق للأئمة والمؤذنين، وجعل الرواتب للمساجد لتأمين ماتحتاج إليه من بسط وسرج وغير ذلك.

وكان مقتصدا في الخيرات غير مسرف في المال، فإنه كان لايعطي الشعراء ولا أهل الغناء خلافا لأسلافه فإنهم كانوا يسرفون في ذلك، وكان إذا أعطى العلماء يشترط أن يكون ذلك في مقابل التدريس والإفادة، وإذا بعث الأموال إلى الحرمين الشريفين - زادهما الله تشريفا - يشترط بأن تعطى لأهل الحاجة، ولذلك كان الناس ينسبونه إلى البخل وحاشاه من ذلك.

ولم يزل على سيرته الحميدة حتى توفى بدكن سنة عشر ومائة وألف، رحمه الله تعالى [1].

(١) المختار المصون ١٣٧٠ – ١٣٧٨ عن « الأعلام بما في تاريخ الهند من الإعلام » بتصرف.

جهاد السلطان أحمد شاه الدرانيّ

هو أحمد شاه بن زمان خان الدرانيّ المعروف بالأبداليّ، نسبة إلى قبيلة كان أبوه أميرًا عليها، وهو أفغانيّ الأصل ومؤسس الدولة الأفغانية بقندهار.

ولد سنة ١١٣٦هـ، ولما توفي أبوه قبض حسين شاه صاحب قندهار[1] عليه وأسره عنده، فلما غزا نادر شاه قندهار سنة ١١٥١هـ أطلق أحمد شاه من أسره، ووجهه إلى بلاد فارس، وجعله على فرقة من الفرسان واستأثر به وتفرس فيه النجابة والنبوغ، وكان معه عند غزوه للهند سنة ١١٥١هـ، وتوسم فيه نظام الملك مؤسس الدولة الآصفية في حيدر آباد آثار الرشد والعظمة، وتنبأ بأنه سيكون في يوم من الأيام ملكًا كبيرًا، ولما قتل نادر شاه حاول أحمد شاه أن يأخذ ثأره وبذل جهده فلم يساعده القدر لكثرة جيوش الفرس وقوتهم، فلجأ إلى معاقل الجبال في بلاد قومه الأفغانيين ونشر راية الاستقلال وجرى تتويجه في جامع قندهار سنة ١١٦٠هـ ولقب نفسه«أحمد شاه» و«در

(١) مدينة أفغانية تقع جنوب غرب كابل بمسافة ٤٠٠كم – موسوعة الألف مدينة إسلامية (ص٣٨٩).

دوران» فاجتمع إليه كثير من الأمراء بقبائلهم العديدة، وبذل فيهم أموالاً كثيرة، وأحسن صلتهم، فغزا بهم الجهات المجاورة لمملكته، فاستولى على تلك الولايات، وعلى قسم من ممكلة الفرس، وجعل مركز سلطته قندهار، ثم اجتاز إلى أراضي الهند وداس أرض بنجاب وكشمير، وغزا الهند عدة مرات بين ١١٦١هـ و ١١٧٠هـ، وتوغل في البلاد حتى وصل إلى دهلي سنة ١١٧١هـ، وصاحبها حينئذ عزيز الدين عالمكَير الثاني ووزيره عماد الملك الذي نصبه، وكان داخله الحسد لامتداد سطوة وزيره المذكور وحاول كسر شوكته فلجأ عزيز الدين إلى أحمد شاه واستمالة إليه ووافقه على أفكاره فحمله على أن يبقي له السلطة ودخل أحمد شاه دهلي واستباح غنائمها وولّى ابنه تيمور شاه على بنجاب بعد أن أقام شهرًا في دهلي، وزوج ابنه بابنة صاحب الهند.

ثم خرج من دهلي بعد أن استخلفه عليها، فلما خرج قام الوزير فطرده من دهلي وقتل سلطانه وأقام مكانه محيي السنة بن كام بخش

بن عالمكَير الأول فاهتبلت «المرهتة»[1] الفرصة وطردوا الأولياء وأقاموا أولياء من الهنود فجرد أحمد شاه عساكره سنة ١١٧٣هـ وقصدهم، فمضت عليهم سنة هو في التأهبات الحربية والمقاتلات الخفيفة إلى أن تحصن المرهتة في بعض الحصون المنيعة فحاصرهم أحمد شاه وأكرههم على القتال، فانتشبت الحرب وكان يومًا مشهودًا، قاتلت فيه المرهتة قتالاً شديدًا وأبلوا بلاءًا حسنا، وقد رأى أحمد شاه باب الفرج غير أنهم أطبقوا عليه من كل جانب، وضيقوا على عساكره وبذلوا الجهد في المقاتلة فانكسرت عساكر أحمد شاه واستولى المرهتة على دهلي وأسروا العائلة الملكية بجملتها واستولوا على كل المجوهرات غير أن أحمد شاه جدد القتال فكانت المعركة الحاسمة في ساحة پاني پت[2] في سنة ١١٧٤هـ، واجتمعت الجيوش الإسلامية تحت رايته فظفر في هذه الواقعة بالمرهتة وقتل منهم مقتلة عظيمة، قتل فيها من المرهتة ثمانية وعشرين ألفا، وأسر اثنين وعشرين ألفا، وفي تلك الأثناء خرج عليه خارجة من لاهور، فسار إليها وانقض على

(١) قوم من كفار الهنود.

(٢) تقع شمال مدينة دلهي على بعد ٩٧كم .

المتمردين بجموعه فهزمهم أقبح هزيمة وفتح للأفغانيين طريق كشمير، وتوفي أحمد شاه سنة ١١٨٦ هـ بقرب مدينة قندهار.

كان أحمد شاه من كبار القادة العسكريين ومؤسسي الحكومات الذين نبغوا في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، قد جمع شمل الأفغان، ونظمهم في سلك واحد، وضبط البلاد، وحفظ الثغور، وسن القوانين العادلة،وأقام الحسبة، وكان جامعًا بين صفات الفروسية ومكارم الأخلاق والنبل، محبًّا للعلوم والآداب، أليفًا ودودًا، وقورًا مهيبًا إذا كان على منصة الحكومة، متواضعًا بعيدًا عن التكلف في غير هذا الوقت،متدينًا حريصا على صحبة العلماء والصالحين، مكرمًا للسادة والمشايخ، يذاكرهم في الأمور الدينية، والمسائل العلمية،رحيمًا كثير العفو عن الأعداء، كارهًا للقسوة محبًّا للمساواة، منح الحرية الدينية لجميع الطوائف، وشجع على النكاح الثاني للأيامى، الذي كان يكرهه الأفغان ويتعيرون منه، حمل العلماء والمؤلفين على وضع كتب في تاريخه، وتسجيل وقائعه وأيامه، وكان كاتبًا يؤلف، ويتمنى أن يصل إلى درجة الولاية.

ومن أشهر مآثره وأعظمها أنه هزم المرهتة الذين شكلوا أكبر خطر على الحكومة الإسلامية في الهند وعلى الكيان الإسلامي هزيمة منكرة، لم تقم لهم قائمة بعدها، وكان في توجهه إلى الهند لحماية المسلمين سهم كبير لشيخ الإسلام وليّ الله بن عبد الرحيم الدهلوي، الذي حث الأمير نجيب الدولة على دعوته إلى الهند، وكان - لو بقي في الهند - تاريخ آخر للمسلمين فيها، ولكنه كان مرتبطًا ببلاده ومصالحها، لايحب أن يعيش بعيدًا عن مركز سلطته وقوته، فعاد إلى قندهار على أثر الفتح العظيم، فاضطربت الأحوال في الهند، ولم يستطع المسلمون أن ينتفعوا بهذا الفتح طويلاً لضعف القيادة، وتفرق الكلمة، فكان ماكان، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا [1].

وبعد: فهذه صفحات من جهاد السلطان الكبير أحمد شاه الدراني، والذي يلفت النظر هو معاركه مع كفار الهند «المرهتة» الذين انتهزوا فرصة الخلاف بين زعماء المسلمين فهجموا على البلاد وانتزعوا السلطة، وأفسدوا في الأرض، وإننا لنلاحظ أن السلطان

(١) المختار المصون / ١٣٥٦ – ١٣٥٨، عن « الإعلام بما في تاريخ الهند من الإعلام ».

أحمد شاه لما أخفق في قتالهم في المرة الأولى لم ييأس بل عاود الكرة بعد ذلك وهو يعلم أن مسلمي الهند لاطاقة لهم بهم، لأنهم محاربون مهرة ويدافعون عن عقائدهم الباطلة، وقد وفق في المرة الثانية بالقضاء عليهم توفيقا عظيما، حيث لم تقم لهم بعد تلك المعركة قائمة، وانقذ دولة الإسلام في الهند، وهو يعدُّ من المجاهدين الكبار الذين أبقوا دولة الإسلام في الهند مدة أطول.

ولاننسى دور العلامة المشهور ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي الذي كان سببا في قدوم السلطان أحمد شاه لجهاد الكفار، حيث كان يعلم بأنه هو الذي يستطيع التغلب عليهم.

المصادر والمراجع

- البداية والنهاية / للحافظ أبي الفداء ابن كثير .
- تاريخ الطبري/ للإمام محمد بن جرير الطبري.
- صحيح البخاري/ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
- الكامل في التاريخ / لأبي الحسن علي الشيباني (ابن الأثير).
- المختار المصون/ للدكتور/ محمد بن حسن بن عقيل .
- معجم البلدان / لشهاب الدين ياقوت الحموي .
- موسوعة التاريخ الإسلامي/ للدكتور عبد الله الطرازي.

فهرس الموضوعات

المقدمة..... ٥

الجهاد والفتوحات في عهد العباسيين..... ٧

الجهاد في الهند في عهد المهدي..... ٩

جهاد محمود بن سبكتكين في بلاد الهند..... ١٢

جهاده مع جيبال ملك الهند..... ١٤

جهاده مع بيدبا..... ١٦

جهاده في بلاد الغور..... ١٧

جهاده في وسط الهند..... ١٩

جهاده في بلاد تانيشر..... ٢٠

جهاده في بلاد قشمير..... ٢٢

جهاده في مملكة كجورامه..... ٢٥

جهاده في بلاد أخرى..... ٣٠

جهاده في سومنات..... ٣١

من مواقفه في الإصلاح والعدل..... ٤٠

جهاد مسعود بن محمود وابناه..... ٤٤

مواقف لبعض حكام الدول الغورية ٤٨

الجهاد والفتوحات بعد العباسيين..... ٥٥

جهاد السلطان محمد البهمني..... ٥٧

جهاد السلطان محمود الكجراتي..... ٦٤

جهاد السلطان بابر..... ٧٢

جهاد السلطان عالمكير..... ٧٥

جهاد السلطان أحمد الدراني..... ٨٠

المصادر والمراجع ٨٧

فهرس الموضوعات ٨٩